# خواطر فى الزواج والسعادة الزوجية

بقلم متزوج

الهناء الزوجى ، والسعادة البيتية ، وعوامل الحب المتبادل بين الزوجين ، والتفاهم والانسجام اللذان يجب أن يسودا علاقتهما ، والأسباب التى تؤدى إلى إيجاد البيت الناجح السعيد ؛ كل هذه أمور اعتبارية ليس لها قواعد مقررة يرجع اليها ولا مقاييس ثابتة تقاس بها ، وإنما المرجع فيها إلى التقدير وصدق النظر الى مختلف الحالات .

وما دمنا فى مصر لم نعرف بعد معاهد التربية الزوجية التى انتشرت فى أوربا وأمريكا وهى المعاهد التى تتولى إعداد شباب الجنسين لحياة الزواج ؛ فليس أمامنا سوى الاختبارات والتجارب نعتمد عليها فى إسداء النصح للخاطب والمخطوبة وإرشاد الزوج والزوجة إلى طريق السعادة فى الحياة .

ولقد هالنى كثرة حوادث الإفلاس فى الزوجية بمصر ، وهالنى ما عانته آلاف وآلاف من الأسر بسبب هذا الإفلاس ، وأكتب هنا كلمة الإفلاس وأرمى إلى معناها اللفظى ، لأن الزواج فى اعتقادى شركة ، شركة اجتماعية وثقافية ومالية ، وكثيرا ما يفلس كما تفلس الشركات التجارية ، ولكنه عند ما يفلس يكون أشد خطرا وأبلغ أثرا . فالزواج عند ما يحل بالطلاق ، لا تحل وحدة اقتصادية فقط ، وإنما تحل وحدة اجتماعية ، وينهار بيت عامر يضم أولادا يتشتتون فيعيشون بعد هذا الانهيار بلا أم أو بلا أب أو بلا أبوين ، ومصير هؤلاء الأولاد يغلب عليه السوء .

صحيح إن السعادة ليس لها قواعد توضع أو برامج تقرر ؛ لأن ما يصلح لهذه الحالة قد لا يصلح لغيرها وما يفيد هنا قد لا يفيد هناك ، ولكن من التجارب العملية والمشاهدات ما يمكن اعتباره مبادئ صحيحة صالحة لأن تطبق على كل حالة وفى كل بيت .

من هذه التجارب والمشاهدات أن الزوج الذى نشأ على تربية خاصة وشب فى بيت سعد أبواه فيه من قبل بالحياة الزوجية وأخذ عنهما أسلوبهما فى المعيشة وفهم منهما معنى الأسرة هذا الزوج يسعد غالبا فى زواجه ، ذلك لأن أسلوب الحياة الذى تدرج عليه فى أيام الطفولة والمراهقة يظل ملازما له فى أيام الشباب ويمتد معه حتى يبلغ الشيخوخة . فالطفل المدلل هو الشاب المدلل وهو الشيخ المدلل ، ونحن نقدم على الزواج إما منقلين بعادات وأفكار سيئة تنتهى بنا إلى الشقاء ، وإما متحلين بعادات وأفكار حسنة تهيىء لنا أسباب السعادة .

ولست أتحدث عما يجب أن يكون عليه الشاب أوالفتاة قبل الزواج لكى ينعما بالحياة الزوجية ،فمجال التحدث عن هذا يتسع بل لا يقف عند حد ، و إنما ألخص رأيى فى عبارة واحدة ، وهى أن خير ما يهيئ لسعادة الزوجين أن يكون كل منهما قد عاش فى بيت شمل الحب والتعاون فيه أبويه .

ولى رأى أكاد أجزم بصحته ، ولعله ثمرة الاختبار الطويل ، وهو على غرابته صحيح لاغبار عليه ، ذلك أنى أعتقد — على عكس ما يعتقده الكثيرون — أن الرجل فى مصر هو المدلل لا المرأة .

لقد ألفنا أن نعزو الدلال إلى الفتاة . ولكن الحقيقة الواقعة هى أن مجتمعنا المصرى يدلل الشاب الى حد بعيد ولا يكاد يدلل الفتاة أبدا . وأرجو أن يكون مفهوما أننى أقصد التدليل العائلى لا ذلك التدليل الذى تلقاه الفتاة من بعض المعجبين بها ، ذلك بأننا نؤثر الطفل على الطفلة فنفرح بمولده بينما نغتم لمولدها ، و بأننا نؤثره بالطيبات دونها بدعوى أنه الصبى الذى سيصير رجلا يفتح البيت و يكون رب العائلة فى المستقبل ، أما البنت فلا نمنحها إلا مركزا ثانويا بجانب أخيها سواء أكان أكبر منها أم أصغر .

وهذا الوضع يجعل الصبى ينشأ على أسلوب معين فى الحياة لا يتغير ، أسلوب يشعره بأنه هو المفضل و بأنه هو الذى تسمع كلمته وتستجاب رغباته ، و بأنه هو الذى لا يعارض فيما يفعل و يقول ، وهذا التدليل أعتبره أسوأ إعداد للحياة الزوجية ، لأن الولد عند ما يكبر و يتزوج لا يتعاون مع زوجته ولا يميل الى التوفيق بين ميولها وميوله ، بل يعمد إلى السيطرة والتسلط اللذين ألفهما صغيرا ، ومن هنا يأتى الخلاف ثم النفور ثم الشقاق .

وأرى أيضا أن المرأة تنظر إلى الزواج نظرة أوسع وأحكم وأعم وأشمل من نظرة الرجل ، فهى حين تتزوج ، تنصرف بكل نشاطها العاطفى والذهنى إلى الحياة الزوجية ، عالمة أن زواجها زواج الحياة كلها ، ومعنى الحياة عندها هو إنشاء الأسرة وتربية الأولاد .

أما الرجل فتفكيره فى الزواج تفكير ... ... تفكير ... ... جنسى ... ... أكثر مما هو تفكير اجتماعى . وعلة ذلك أنه يجد منصرفا آخر لنشاطه العاطفى والذهنى ، فهو ينشد النجاح الاجتماعى أو الاقتصادى أو الفنى أو المهنى ، أما المرأة المتزوجة أو الفتاة التى تنوى الزواج فلا تنشد هذا النجاح إلا فى البيت ، أى فى حياة الأسرة وتربية الأولاد .

ومن هاتين الناحيتين ، ناحية أن الزوج نشأ على الدلال أكثر من الزوجة ، وناحية أن الزوجة تنظر الى البيت كأنه مهمتها فى الحياة ، من هاتين الناحيتين يجب أن نسلم بأن فضل الهناء والسعادة والوفاق فى الحياة الزوجية يعود إلى المرأة أكثر مما يعود إلى الرجل .

ومن هنا تأتى تلك الظاهرة التى كثيرا ما يتأفف منها الشبان قبل الزواج حين تطلب الفتاة المخطوبة مهرا عاليا وأثاثا فاخرا ومسكنا ممتازا . نعم إن هناك إسرافا فى هذه المطالب والاشتراطات ، ولكن هذا الإسراف الذى نحسبه رذيلة إنما هو فى الحقيقة مبالغة منها فى تصور الحياة الزوجية وإدراك جلالها ، لأن الفتاة وهى تكبر من شأن هذه الحياة وتغالى فى تصور قيمة السعادة البيتية ووجوب ثباتها وتوطدها ، تبالغ فى هذه الفضيلة حتى نحسبها رذيلة الإسراف .

ونحن الرجال نعتقد أننا مظلومون مع زوجاتنا . والحقيقة أن زوجاتنا ظالمات مظلومات .

هن ظالمات لأنهن يطلبن منا نحن الرجال أن ننزل إلى مستواهن الثقافى ، فنقضى معهن الوقت فى البيوت ونصادقهن ونزاملهن ولا نترك البيت إلى القهوة أو النادى . هن فى هذا ظالمات ، إذ كيف تكون المزاملة أو المحادثة أو تقليب الآراء مع قصورهن الثقافى ومع كل هذا التفاوت فى المعلومات والاختبارات الدنيوية والمهنية الموجود بين الرجل والمرأة فى مجتمعنا المصرى .

ولكن زوجاتنا فى الوقت نفسه مظلومات . فليس الذنب ذنبهن إذا كان الآباء قد ضنوا عليهن بالتربية والتعليم اللذين أسبغوهما على أبنائهم الذكور .

ليس العيب عيب زوجاتنا إذا هن بقين ضعيفات فى ثقافتهن بحيث لا يستطعن مجاراتنا فى أحاديثنا ومناقشاتنا ، إنما العيب عيب الآباء الذين قصروا فى حقهن ، وعيب الأزواج الذين لا يريدون حمل مشقة تثقيفهن وتزويدهن بالمعلومات العامة بعد الزواج .

وبعد فنحن إذا تأملنا مجتمعنا المصرى على ما فيه من ميزات وعيوب ، استطعنا أن نعين ونحدد معالم السعادة الزوجية وعواملها والوسائل الموصلة إليها .

وأول نصيحة أسديها للراغبين فى الزواج هى حسن الاختيار . حسن الاختيار بحيث لا تتفاوت السنان بين الزوجين تفاوتا كبيرا ، فكل طور من أطوار العمر له مزاج خاص يبدو فى الجد واللهو ، بل يبدو حتى فى النظر الى الطعام والشراب ، وبعيد أن يتحقق الوفاق بين زوجين قطعت السن ما كان يجب أن يكون بينهما من اشتراك فى العواطف والميول والاراء .

حسن الاختيار بحيث يختار الشاب خطيبته من طبقة اجتماعية مماثلة للطبقة التى نشأ فيها حتى لا تكون عائلته أغنى كثيرا أو أفقر كثيرا من عائلتها ، وبحيث يختارها من نوع البيئة التى يعيش فيها فلا يكون هو نفسه ريفيا محافظا بينما تكون هى قد نشأت متحررة فى مدينة عصرية ، فإن الخلاف فى هذه الحالات أكثر وقوعا من الخلاف بين زوجين قد تفاوتا

فى السن مع توحد البيئة الاجتماعية ، وهذا التوحد فى البيئة الاجتماعية هو الذى يؤدى نقصه بين الزوجين إلى النفور والشقاق، وأكثر ما يتجلى ذلك عندما يتزوج المصرى بأجنبية لم تألف عيشة هذه البلاد وأوضاعها وتقاليدها وطباع أهلها .

فهو إما أن يكرهها على ما لا تحب فتثور ، وإما أن يحاول تعويدها ما لم تنشأ عليه فتتألم ، وإما أن يقطع صلتها بأهله ومسقط رأسه وفى هذا عسر لا يطاق .

وخلاصة ما أقوله فى اختيار الزوجة أن نختارها بعقولنا بقدر ما نختارها بعواطفنا وقلوبنا .

ولعل من أهم العوامل فى اعتقادى لتوطيد الحياة الزوجية أن تطال مدة التعارف بين أسرتى الخطيبين حتى تعرف التفاصيل والدقائق الخفية التى ربما يؤدى ظهورها بعد الزواج إلى شقاق أو طلاق. أما الزواج السريع الذى يتم بعد أول نظرة وبعد أيام من تعارف العائلتين فليس بالزواج الأمثل الذى يضمن مستقبله ، وإنما يحتاج الزواج إلى دراسة الأحوال الاجتماعية بين العائلتين حتى يستقر على المكان المطمئن الذى سوف يعيش عليه مدى الحياة .

وبعد أن يتم الزواج يصبح من أول واجبات الزوج أن يساعد زوجته على أن ترتفع إلى مستواه الثقافى ، وعليه أن يبدأ ذلك من أول يوم بأن يحرضها ويحثها على قراءة الكتب والصحف والمجلات ، وأن يناقشها فى كل ذلك ويفسره لها ويعاونها على فهمه واستيعابه ، حتى تستنير الزوجة وتصبح الثقافة التى لا تنفك عن ممارستها عادة ملازمة لها ، وأنا أؤكد للزوج أنه إذا فعل ذلك وثابر عليه ، فإنه لاشك واجد بعد قليل أن زوجته ستكون زميلته ومحدثته ومؤنسته ، ينعم بمرافقتها فى البيت وخارج البيت ولا يهرب منها إلى القهوة أو النادى .

وما دام مجتمعنا يهمل تعليم الفتاة بقدر ما يعنى بتعليم الشاب ، فلا بد من أن يقوم الزوج بهذه المهمة ، وهى ليست بالمهمة الشاقة ، لأن رابطة الحب التى جمعت بينهما سترداد توثقا عندما يستنير الذهن ويزداد جمال الوجه بازدياد جمال العقل والذوق .

وأنصح للزوجين ألا ينحدرا الى التبذل فى الحديث أو المناقشات أو العادات أو الملابس ، بل يحسن أن يتكلف كل منهما بعض التحفظ فى كل ذلك ، فان المزاح الذى يؤدى الى الكلمة الجافية والإيماءة الغليظة ، وكذلك إهمال الزوجة ملابسها وزينتها ، وتناول الطعام على مائدة مشوشة فى غير كياسة ، كل ذلك قد يستهان به فى أوله ، ولكنه ينتهى دائما الى إبراز العيوب ثم إلى فتور الحب ثم إلى خلق الملل فالنفور .

اذكرى أيتها الزوجة أن زوجك يرى السيدات فى الشارع وفى الزيارات وفى الولائم ، وأنه يراهن دائما فى أحسن زينتهن ، فلا يجوز أن يراك منفوشة الشعر متبذلة فى ثياب المطبخ كأنك مرمطونة أو غسالة .

وليس من الكياسة ولا من حسن السياسة أن تتركى نفسك مهملة الزينة والرشاقة والهندام حتى يعمد زوجك إلى المقارنة وأنت فى هذه الحالة بينك وبين زائرتك المتجملة المتروقة البادية فى أحسن حالاتها ، وأنت أدرى بما يعقب هذه المقارنة من حسرة يحسها الزوج وما يعقبها أيضا من إحساسات فاجرة هى فى اعتقادى بداية الانفصال الروحى الذى يؤدى إلى انفصام عرى الحياة الزوجية .

إنك تقولين : ما عليهش إحنا واخدين على بعض ، ولكن حاذرى فإن لزوجك عينين تريان غيرك ، وياويل مستقبلك إذا امتعضت عيناه من رؤيتك كل يوم بقميصك المشمر الكمين ، وشعرك المنفوش وشبشبك السحاق أو قبقابك الذى يزعج أذنيه .

ويجب أن يذكر الزوجان أن الإنسان كائن روحى فيجب ألا يجرح أحدكما كرامة الآخر ، وليعلم كل منكما أن الكلمة العوراء أو الإشارة الفظة لن تغفر ولن تنسى وإنما هى كمرض الجدرى تزول حماه ولكن تظل آثاره على الوجه تذكر به فى كل حين .

لست أدعو إلى أن يتعامل الزوجان كما لو كانا شخصين كل منهما غريب عن الآخر ، أى فى تكلف وتحفظ واحترام ، ولكن قليلا من الاحترام تطالبنا به الكياسة ، والكياسة هنا هى اللطف والرقة والاحتشام .

والأغلب أنه عند ما يتزوج الشابان حوالى سن العشرين أن تكون عاداتهما فى دور البداية لم تستقر بعد ، ولكنهما إذا تزوجا فى سن الثلاثين أو بعدها ، تكون عاداتهما قد تأصلت واستقرت فلا يبقى سبيل لأحدهما إلى تغيير طباع الآخر ، والزوجة التى تطلب ذلك فى هذه الحالة إنما تطلب المستحيل ، ولكن عليها عندئذ أن تحاول التهذيب والتوفيق بالإقناع عن طريق الايحاء ، وهنا أقرر وأؤكد أن الإيحاء هو خير ما تتبعه الزوجة من الخطط الدبلوماسية مع زوجها ، فإن الجدال ولو كان حوارا بريئا لا يستسيغه ولا يقتنع به زوج مطلقا ، بل إن الزوج الذى يهزم فى جدال بعد أن تقام عليه الحجة الدامغة فيه يبقى متعنتا كارها وإن استسلم وخضع .

إنما يقتنع الزوج بالإيحاء وحسن الحيلة ولطف الوسيلة ، أما الأمر الجاف أو التكرار الممل أو الإلحاح المتواصل فقد يجر إلى ما نسميه "مناقرة" لا تطاق ، وبعض الأزواج من الجنسين يألفون هذا اللون من المعابثة حتى يجعلوها فنًّا يبدعون فيه والعياذ بالله .

قلت إن الزوج الذى تجاوز الثلاثين يشق عليه أن يبدل عاداته ، وقد تكون له هواية تشغل فراغه وتسرى عنه همومه ، فمن الحسن ألا تعارض الزوجة زوجها فى تعلقه بهوايته سواء أكانت هذه الهواية دراسة معينة تحتاج إلى شراء كتب ، أو لعبة رياضية تتطلب بعض نفقات ، أو صناعة يدوية أو غير ذلك ، لأن الزوج بهذه الهواية يجد المتنفس الذى كثيرا ما يقيه أو يصرفه عن غواية سيئة .

ولتذكر كل زوجة أن بيتها يجب أن تتوافر فيه جميع المغريات التى تغرى بالبقاء فيه ، أى يجب أن يحتوى على المقاعد المريحة والسرير الوثير وجهاز الراديو والجرائد والمجلات والصور الفنية ، كل هذا بقدر الطاقة المالية الممكنة ، ولا أقول غرفة الجلوس النظيفة فقط ، بل المطبخ النظيف الذى تزدان نافذته بقصريات الزرع ويكسو زجاجه ستار لطيف رخيص ، وليس هذا مما يكلف كثيرا ، ولكنه يثمر كثيرا فى تجميل البيت وتحبيبه إلى قلب الزوج عند ما تقبل عليه الزوجة فى شىء من حسن الذوق .

ولدينا نحن المصريين ظروف وملابسات تختص ببيئتنا وتؤدى أحيانا إلى عواقب وخيمة . من ذلك اشتراك الحماة مع الزوجين فى عيشة واحدة . ونصيحتى إذا لم تكن الضرورة القصوى هى السبب لهذا الاشتراك فإنه يجب ألا يكون ، ولكن ليس معنى هذا أن تكون الحماة مكروهة أو أن ينتقص حبها واحترامها ، وإنما معناه أن تدخلها الدائم فى بيت بنتها أو ابنها قد يفسد الأمر على الزوجين .

ولنتفق جميعا أن احترام كل من الزوجين لعائلة الآخر أمر واجب لأنه أحد العوامل النافعة فى دعم الحياة الزوجية ، فليحترم كل منا أسرة الآخر مع احتفاظه باستقلاله عنها .

وفى النهاية أقول : إن أفضل الزوجين هو الذى يبدأ الثانى بالمصالحة بعد الخصام ، لأن المصالح هو المبقى على الآخر ، وهو المعمر الذى يبنى ، وهو الذى يتبع الخطط الايجابية المنتجة . أما الذى يسكن الى الخصام ويبرره بدعوى أنه لم يكن السبب فيه فهو المدلل السمج الذى يتبع الخطط السلبية الهدامة لكل سعادة زوجية . وكل هذا الذى ذكرته ينطبق على الزوج والزوجة سواء بسواء . هذا بعض ما أثمرته عندى خبرة عشرين سنة أو أكثر فى الزواج ، ونحن لحسن الحظ ، أو لسوء الحظ لا أدرى ، مازلنا بعيدين عن الزواج العلمى أى الزواج القائم على أصول علمية ، الذى تقاس لأجله الكفايات والمواهب والاحتمالات بغية تحقيق السعادة وإنتاج خير الأولاد ، ولكننا مع هذا قد ارتقينا عن ذلك الطور الذى كان آباؤنا يتزوجون فيه باختيار آبائهم ، ثم تكون الحياة كيفما اتفق ، وأرجو وقد أتممت حديثى ألا أكون قد أغضبت أحدا منكم والسلام عليكم ورحمة الله ،

متزوج